مجلة دراسات بيت المقدس، 2018، 18(3):125-142
DOI: 10.31456/beytulmakdis.482316

الأوقاف في عهد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي

يوسف إبراهيم الزاملي* فايز إبراهيم الزاملي**

ملخص: عرف نظام الوقف قديماً، وعندما جاء الإسلام أصبح هناك اهتمام بالغ بالوقف بين المسلمين نظراً لأهميته في الحياة العامة، وقد انتشرت الأوقاف في العهد الزنكي وتنوعت وشملت مختلف جوانب حياة الناس، خاصة في زمن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي (541–569هـ/ 1146–1174م) الذي اشتهرت الدولة في عهده بالمسارعة في إقامة المنشآت والمرافق العامة، وتم تمويلها عن طريق الأوقاف الدارة عليها، فقد أمر نور الدين بإنشاء المساجد والمدارس والخوانق والزوايا والربط والمكتبات وفكاك الأسرى والجهاد في سبيل الله، ويأتي هذا البحث لتسليط الضوء على هذه الشخصية الفذة؛ وما قدمته من أوقاف مهمة أثرت في بناء وتطور الدولة الزنكية. وقد اشتمل البحث بعد المقدمة على ثلاثة مباحث وخاتمة ونتائج: المبحث الأول: حقيقة الوقف ودليل مشروعيته والحكمة منه. المبحث الثاني: وقد تناول اهتمام نور الدين بالمساجد والمدارس والمكتبات. المبحث الثالث: وقد بيّن اهتمام نور الدين بالخوانق والزوايا والربط والبيمارستانات والجهاد في سبيل الله وتحرير الأسرى.

الكلمات المفتاحية: الأوقاف، نور الدين زنكي، الخوانق، الربط، البيمارستان، الزوايا، المدارس.

The Awqaf during the reign of Nur al-Din Mahmud Zengi

ABSTRACT: *The Waqf system was known from ancient times, and with the rise of Islam, Muslims paid great attention to the Awqaf for its importance in the public life. The Awqaf spread and varied to included various aspects of people's lives in the Zengid era, especially during the reign of the Just King Nur al-Din Mahmud Zengi (541-569AH/ 1146-1174CE) who was famous for his rapid establishment of public facilities and institutions that were funded from the Waqf revenues. Nur al-Din ordered the establishment of mosques, schools, Khanqah, Zawiyah, Ribat, libraries, as well as release of Muslim captives and pursing Jihad. This research comes to highlight this unique personality and its contribution to the Awqaf which in turn helped build and develop the Zengid State. After a brief introduction, the paper comprises of three sections together with the conclusions and results; the first section deals with the idea of the Waqf and evidence of its legitimacy in Islam. Whilst the second section deals with Nur al-Din's interest in mosques, schools and libraries. The third section deals with his interest in other institutions as well as Jihad and the releasing of prisoners of war.*

KEYWORDS: Waqf, Nur al-Din, Khanqah, Ribat, Bimaristan, Zawiyah, Madrasah.

* أستاذ التاريخ بجامعة الأقصى، غزة – فلسطين، yi.alzamli@alaqsa.edu.ps
** رئيس قسم الوعظ والإرشاد، وزارة الأوقاف، غزة – فلسطين، fayez102017@gmail.com

مقدّمة

عرف نظام الوقف قديماً، وعندما جاء الإسلام أصبح هناك اهتمام بالغ بالوقف بين المسلمين نظراً لأهميته في الحياة العامة، وقد انتشرت الأوقاف في العهد الزنكي وتنوعت وشملت مختلف جوانب حياة الناس، خاصة في زمن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي (541–569هـ/ 1146–1174م) الذي اشتهرت الدولة في عهده بالمسارعة في إقامة المنشآت والمرافق العامة، وتم تمويلها عن طريق الأوقاف الدارة عليها، فقد أمر نور الدين بإنشاء المساجد والمدارس والخوانق والزوايا والربط والمكتبات وفكاك الأسرى والجهاد في سبيل الله، ويأتي هذا البحث لتسليط الضوء على هذه الشخصية الفذة؛ وما قدمته من أوقاف مهمة أثرت في بناء وتطور الدولة الزنكية.

وقد اشتمل البحث بعد المقدمة على ثلاثة مباحث وخاتمة ونتائج؛ المبحث الأول: حقيقة الوقف ودليل مشروعيته والحكمة منه. المبحث الثاني: وقد تناول اهتمام نور الدين بالمساجد والمدارس والمكتبات. المبحث الثالث: وقد بيّن اهتمام نور الدين بالخوانق والزوايا والربط والبيمارستانات والجهاد في سبيل الله وتحرير الأسرى.

حقيقة الوقف ودليل مشروعيته والحكمة منه

من معاني الوقف في اللغة: الحبس، يُقال: وقفت الدار وقفاً: حبستها في سبيل الله. ومنها المنع، يُقال: وقفت الرجل عن الشيء وقفاً: منعته عنه. ومنها السكون، يُقال: وقفت الدابة تقف وقفاً ووقوفاً: سكنت. ويُطلق الوقف أيضاً على الشيء الموقوف تسمية بالمصدر، وجمعه أوقاف كثوب وأثواب.[1] أما الوقف في الاصطلاح، فقد عرف الفقهاء الوقف بتعريفات متعددة؛ فالوقف عند الحنفية: بأنه حبس العين على حكم ملك الله تعالى وصرف منفعتها على من أحب، وهذا عند الصاحبين. وعند أبي حنيفة: هو حبس العين على حُكم ملك الواقف والتصدق بالمنفعة ولو في الجملة[2]. أما الوقف عند المالكية: الوقف مصدراً: إعطاء منفعة شيء مدة وجوده، لازماً بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديراً.[3] وعند الشافعية: هو حبس مال يُمكن الانتفاع به مع بقاء عينه، بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح موجود.[4] وعند الحنابلة: بأنه تحبيس مالك مطلق التصرف ماله المنتفع به مع بقاء عينه بقطع تصرفه وغيره في رقبته يصرف ريعه إلى جهة بر تقرباً إلى الله تعالى.[5]

أما مشروعية الوقف فقد دلَّ على مشروعيته في الكتاب، والسُنّة، والإجماع، بالإضافة إلى عمل الصحابة. أما مشروعية الوقف من الكتاب فسيتدل به من قوله تعالى: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾.[6] ووجه الدلالة: أن الوقف نوع من الإنفاق، وأن الصحابة ﷺ فهموا ذلك من الآية، بدليل أن الصحابي أبا طلحة ﷺ لما سمع هذه الآية وقف أحب

أمواله إليه وهي أرض يقال لها بيرحاء،[7] وجاء عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: كان أبو طلحة ﷺ أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس ﷺ: فلما أنزلت هذه الآية، ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى؛ فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه.[8]

أما مشروعية الوقف من السُنّة؛ فقد جاء في الحديث عن عمرو بن الحارث ختن رسول الله ﷺ أخي جويرية بنت الحارث قال: "ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أَمةً ولا شيئاً ولا شاةً إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة".[9] قال ابن حجر: ويستدل من هذا الحديث: "تصدق بمنفعة الأرض فصار حكمها حكم الوقف، وهو في هذه الصورة في معنى الوصية لبقائها بعد الموت".[10] وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا مِن صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".[11] قال العلماء: الصدقة الجارية محمولة على الوقف كما قاله الرافعي، فإن غيره من الصدقات ليست جارية، بل يملك المتصدق عليه أعيانها ومنافعها ناجزاً، وأما الوصية بالمنافع وإن شملها الحديث فهي نادرة، فحمل الصدقة في الحديث على الوقف أولى.[12]

ومشروعية الوقف من الإجماع؛ قال جابر ﷺ: "لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ ذو مقدرة إلا وقف وهذا إجماع منهم، فإن الذي قدر منهم على الوقف وقف واشتهر ذلك فلم ينكره أحد فكان إجماعاً".[13] قال الزركشي: "ولو ملك عقارا وأراد الخروج عنه، فهل الأولى الصدقة به حالاً أم وقفه، قال ابن عبد السلام: إن كان ذلك في وقت شدة وحاجة فتعجيل الصدقة أفضل وإن لم يكن كذلك ففيه وقفه ولعل الوقف أولى لكثرة جدواه".[14]

ويستدل بمشروعية الوقف من عمل الصحابة؛ إذ جاء عن ابن عمر ﷺ أنه قال: أصاب عمر ﷺ أرضا بخيبر، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضاً بخيبر لم أصب مالاً قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟، قال: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها، قال: فتصدق بها عمر ﷺ أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف، ولا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول، وفي لفظ: غير متأثل

مالاً.[15] قال ابن عبد السلام: إن كان ذلك في وقت شدة وحاجة فتعجيل الصدقة أفضل وإن لم يكن كذلك ففيه وقفه ولعل الوقف أولى لكثرة جدواه.[16] وأخيراً: أجمع الصحابة وعلماء الأمة على مشروعية الوقف، إذ وقف كثير منهم أموالهم، فكان إجماعاً على جواز الوقف، وتناقلت الأجيال هذا الإجماع جيلاً بعد جيل، ومما يدل على ذلك ما قاله الشافعي: "بلغني أن ثمانين صحابيا تصدقوا بصدقات محرمات (ويقصد بالصدقات المحرمات الأوقاف)".[17]

أما الحكمة من مشروعية الوقف فقد ذكرنا فيما سبق أن الوقف مشروع بالكتاب، والسنة، والإجماع، ويعد من القرب التي يثاب عليها المؤمن، وهذا الوقف له حكم كثيرة نذكر منها الآتي:

1. تحقيق كثير من المصالح الإسلامية، فإن أموال الأوقاف إذا أُحسن التصرّف فيها كان لها أثر كبير وفوائد جمّة في تحقيق كثير من مصالح المسلمين: كبناء المساجد، والمدارس، وإحياء العلم، وإقامة الشعائر مثل الأذان والإمامة، وغيرها من المصالح والشعائر.[18] ولذلك جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**".[19] وهكذا فإن الصدقة الجارية تتجلى في أروع صورها في مبدأ الوقف، وما يكفله من استمرارية المنفعة وشمولها.
2. سدّ حاجة كثير من الفقراء والمساكين والأيتام وأبناء السبيل، والذين أقعدتهم بعض الظروف عن كسب حاجاتهم؛ فإن في أموال الأوقاف ما يقوم بسدّ حاجاتهم، وتطييب قلوبهم. إذ قال عنه زيد بن ثابت ﷺ: "لم نر خيراً للميت ولا للحي من هذه الحبس الموقوفة، أما الميت فيجري أجرها عليه، وأما الحي فتحبس عليه ولا توهب ولا تورث ولا يقدر على استهلاكها".[20] وقال الدهلوي: ومن التبرعات الوقف وكان أهل الجاهلية لا يعرفونه، فاستنبطه النبي ﷺ لمصالح لا توجد في سائر الصدقات، فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله مالاً كثيراً، ثم يفنى، فيحتاج أولئك الفقراء تارة أخرى، ويجيء أقوام آخرون من الفقراء، فيبقون محرومين، فلا أحسن ولا أنفع للعامة من أن يكون شيء حبساً للفقراء وأبناء السبيل تصرف عليهم منافعه، ويبقى أصله على ملك الواقف.[21]
3. فتح باب التقرّب إلى الله تعالى في تسبيل المال في سبيل الله وتحصيل المزيد من الأجر والثواب فليس شيء أحبَّ إلى المؤمن، من عمل خير يزلفه إلى الله تعالى، ويزيده حبّا منه.[22]
4. تحقيق رغبة الإنسان المؤمن، وهو يبرهن على إظهار عبوديته لله تعالى، وحبّه له، فمحبة الله تعالى لا تظهر واضحة إلا في مجال العمل والتطبيق، قال تعالى: ﴿**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ** ...﴾.[23]
5. تحقيق رغبة المؤمن أيضاً في بقاء الخير جارياً بعد وفاته، ووصول الثواب منهمراً إليه، وهو في قبره، حين ينقطع عمله من الدنيا، ولا يبقى له إلا ما حسبه ووقفه في سبيل الله حال حياته، أو كان سبباً في وجوده من ولد صالح، أو علم يُنتفع به.[24]

اهتمام نور الدين بالمساجد والمدارس والمكتبات

المساجد

إنَّ عمارة المساجد والوقوف عليها من أفضل القربات إلى الله تعالى، لكونها بيوت الله في الأرض، ومكان اجتماع المسلمين لأداء أعظم ركن من أركان الاسلام بعد الشهادتين،[25] كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِين**﴾.[26] وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من بنى لله مسجداً، ولو كمفحص قطاة، بنى الله له بيتا في الجنة".[27] فالمسجد هو المركز للإشعاع الروحي والعلمي؛ لأنه مكان العبادة والتعليم، وموطن التذكر والتفكر والتوجيه، وقد كان المسجد مدرسة لصنع الرجال وتخريج الأبطال، وقد تخرج من المسجد النبوي خيرة الرجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أمثال: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.[28] وتُعدُّ المساجد أول مراكز التعليم الإسلامي وأهمها على الإطلاق، إذ إنَّ المساجد بالإضافة إلى كونها مكاناً لتعبد المسلمين واجتماعاتهم كانت أيضاً معاهد مفتوحة لكل راغب في الاستزادة من العلوم والمعارف، إذ كان الطالب حينما يرى لديه الرغبة في التعلم في هذه المساجد يقصد إحدى حلقات التعليم المنتشرة في أرجائه.[29]

ومن هنا اهتم نور الدين محمود بالوقف اهتماماً كبيراً فكان يبادر إلى وقف بعض الممتلكات ويسارع إلى حبسها ليصرف ريعها على المساجد من بناء وتشييد والعمل على تجهيزها بكل ما تحتاج إليه وتعين القائمين عليها. ومما أُثر عن نور الدين زنكي (المتوفي 569هـ/1174م) أنه بنى في بلاد الشام مساجد كثيرة ووقف عليها، وعلى من يقرأ بها القرآن أوقافًا كثيرة، إذ روي العماد الأصفهاني أن نور الدين أمر بإحصاء ما في دمشق من مساجد هجرت أو ضربت فأناف على مئة مسجد، فأمر بعمارتها كلها وعين له أوقافًا دارّة.[30]

وكانت في هذه المساجد حلقات العلم والذكر ومنها: "حلقة الكوثرية"، وقد وقفها نور الدين على صبيان صغار وأيتام يقرؤون في كل ليلة بعد العصر ثلاث مرات: قل هو الله أحد ويهدون ثوابها للواقف، ولهم على ذلك مرتب،[31] ولقد ذكر النعيمي أن عدد طلاب هذه الحلقة في عصر واقفها يصل الى ثلاثمئة وأربعة وخمسين طالباً.[32]

ولم يقتصر الأمر على بناء المساجد القديمة؛ بل قام نور الدين بالاهتمام بالمساجد القائمة أصلاً في دمشق، وأوقف عليها الأوقاف الغزيرة، وقد أورد أبو شامة هذه المساجد ومنها: مسجد غبن عطية ومسجد ابن لبيد ومسجد سوق الرماحين وغيرها من المساجد التي أعاد ترميمها.[33] وفي مدينة الموصل بنى نور الدين الجامع النوري الذي يعد أهم المساجد في المدينة وقد قام نور الدين سنة 566هـ باختيار

موضع بناء المسجد نفسه وسط المدينة ووقع اختياره على خربة وسط البلد وأنفق عليها أموالاً، وعندما تمت عمارة الجامع النوري أنفق عليه ما يزيد على ستين ألف ديناراً، وأوقف عليه ضيعة من ضياع الموصل، ووقف على تأسيسه بنفسه وجعل له خطيباً واماماً.[34]

وكان نور الدين قد أنفق في بناء هذا الجامع أموالاً كثيرة، وكان نور الدين قد قدم الموصل سنة 568هـ/1173م، وصلّى في جامعه بعد أن فرشه بالبسط والحصران وعيّن له مؤذنين وخطيباً، واهتم نور الدين بالمساجد وعمل على تفعيل دورها العلمي والتربوي؛ فكان لها آثار ملموسة في الازدهار العلمي وتطوره في العهد الزنكي، ولا يكاد يخلو مسجد من هذه المساجد من مكتبة ضخمة تضم عدداً كبيراً من الكتب المختلفة التخصصات، وكانت تلك المكتبات توقف خصيصاً على المساجد ليرجع إليها الطلاب والباحثون مثل مكتبة الشرقية بجامع حلب، كما قام نور الدين بإصلاح أحوال المسجد الأموي وأضاف إلى أوقافه المعلومة الأوقاف التي لا تعرف شروط واقفيها وسمّاها: مال المصالح،[35] وعمل على إقامه الكثير من المساجد، وقد بلغت في مدينة دمشق وحدها مئة مسجد،[36] وعين لها وقوفاً،[37] ومن أهم المساجد التي أنشأها نور الدين في دمشق المسجد الكبير المسمى جامع قلعة دمشق وقد بنى فيه منارة وبركة وعلى بابه سقاية، ووقف عليه الأوقاف الكثيرة ورتب إمامًا ومؤذنًا.[38]

وقد أبدى ابن جبير ارتياحه عندما شاهد جامع حماة على نهر العاصي خلال زيارته لبلاد الشام، وقدم لنا وصفاً مختصراً أثناء حديثه عن نهر العاصي إذ يقول: "وعلى شطه الثاني جامع صغير وقد فتح جداره الشرقي عليه طيقاناً تجتلي منها منظراً ترتاح النفس إليه وتتقيد الأبصار لديه".[39]

فهذه المساجد كانت بمنزلة مراكز علمية ودينية يجتمع فيها الناس للصلاة والتباحث في أمور الدين والتحريض على الجهاد وهي تمثل المعاهد العلمية المشعة التي نهضت بمختلف العلوم في هذا العهد، وخرَّجت الكثير من العلماء الأفذاذ الذين أسهموا في تقدم العلم وازدهاره.

المدارس

لقد حث الإسلام على طلب العلم والاهتمام بنشره، فقد قال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾،[40] وكذلك قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾،[41] بالإضافة إلى ذلك تشجيع الرسول صلى الله عليه وسلم على طلب العلم فقال: "العلماء ورثة الأنبياء"،[42] وقال: "أفضل الناس المؤمن المتعلم"،[43] وقال صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة"،[44] ولقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. وقد مثّلت الفترة الممتدة من أوائل القرن الرابع إلى نهاية القرن السابع الهجري العصر

الذهبي لانبعاث المدارس إذ انبرى السلاطين وأمراؤهم وعدد من الأهالي الميسورين كالتجار وغيرهم لبناء المدارس، وخصها بالأوقاف الدائمة.

وقد اتبع نور الدين سياسة داعمة للمذهب السني في مواجهه الأفكار الباطنية الإسماعيلية الهدامة وحرصه على دعم التوجه السني في جميع المناطق التي تمت السيطرة عليها وفي سبيل ذلك اهتم ببناء الكثير من المدارس لتدعيم سياسته المذهبية.[45] وأمام الخطرين الإسماعيلي والصليبي كان لزاماً على نور الدين أن يعد الأمة لمواجهة هذين الخطرين وهذا لا يتسنى إلا من خلال وجود نهضة علمية واسعة. وكانت المدارس تبنى إما منفردة ومستقلة البنيان وإما ضمن المسجد.

وكان لقدوم عدد من العلماء إلى بلاد الشام في عهد نور الدين دافعاً مهماً لتجديد وبناء وتفعيل عدد من المدارس؛ فعندما استكمل بناء المدرسة العصرونية الشافعية في حلب عام 550هـ استدعى لها نور الدين من إحدى نواحي سنجار غربي الموصل الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون، وأراد نور الدين أن يستفيد من كفاءة هذا الإمام إلى أبعد مدى، فبنى له مدارس عدة في حمص وحماة وبعلبك ودمشق وفوّضه أن يتولى التدريس فيها من يشاء،[46] ومن أمثلة ذلك: المدرسة النورية الصغرى على المذهب الحنفي وقد كانت تقع ضمن مسجد قلعة دمشق.[47]

كما أنشأ نور الدين المدرسة الحلاوية في حلب وقد جعلها لأتباع المذهب الحنفي، ومن مظاهر اهتمامه بالمدرسة: كان يقدم في السابع والعشرين في رمضان طعاماً يجمع عليه المدرسة، وورد في شرط الواقف أن يحمل في كل شهر رمضان 3000 درهم لكبير المدرسين يصنع بها للفقهاء طعامهم، وإن المدرسين كانوا يتسلمون مخصصات أخرى تمكنهم من شراء الملابس والدواء والفاكهة وغيرها،[48] وقد استدعى لها برهان الدين أبا الحسن علي بن الحسن البلخي للتدريس بها،[49] وكان لمدينة دمشق نصيب الأسد في عدد المدارس التي بناها نور الدين، ويبدو أنه قد أولاها اهتماماً خاصاً فهي من المراكز الدينية والعلمية الرئيسية في بلاد الشام، ومن أهم هذه المدارس: المدرسة العادلية الكبرى تم بناؤها 555هـ، ويذكر أن نور الدين شرع في بناء هذه المدرسة على المذهب الشافعي تقديراً لقطب الدين النيسابوري الذي يعد أول وأشهر من درَّس فيها.[50]

وقد زار ابن جبير هذه المدرسة بعد وفاة نور الدين ووصفها وصفاً دقيقاً فقال: "من أحسن مدارس الدنيا منظراً، وقصر من القصور الأنيقة، يجري الماء في وسطها في ساقية مستطيلة إلى أن يقع في صهريج كبير، فتحار الأبصار في حسن ذلك المنظر، فكل من يبصره يجدد الدعاء لنور الدين".[51]

ونالت هذه المدرسة مكانة علمية كبيرة في ذلك العهد إذ كانت في مقدمة مدارس دمشق، وتتضح أهمية هذه المدرسة في الأثر العلمي الذي قام به شيوخها ومدرسوها وفي الأعداد الوافرة من الطلاب الذين

تخرجوا فيها، وباستقراء الكتابة المسجلة على الحجر الذي يكوّن العتبة العليا لباب المدرسة يتبين لنا حجم الأوقاف التي أوقفها نور الدين على هذه المدرسة للإنفاق على الطلاب والمدرسين والعاملين بالمدرسة انفاقاً سخياً متواصلاً،[52] وقد بلغ عدد المدارس في عهد الدولة الزنكية وحدها في دمشق عشرين مدرسة.[53]

وقد ذكر ابن شداد ضمن مدارس الحنفية مدرسة بجانب القلعة واقفها نور الدين محمود، كما ذكرها النُعيمي باسم المدرسة النورية الحنفية الصغرى بجامع قلعة دمشق،[54] وقام أيضاً نور الدين بإنشاء دور الحديث في كل من دمشق وحلب؛ فهو يعد أول من أنشأ دور الحديث في العالم الإسلامي، وكان لأهل العلم منزلتهم العالية عند نور الدين فكان يكرم العلماء ويعظهم ويقوم إليهم ويجلسهم معه ويُسَر معهم ولا يرد لهم قولاً.[55]

وخلاصة القول: إنَّ الحركة العلمية في عهد نور الدين محمود أدّت إلى دعم المسيرة التعليمية، وتشجيع طلاب العلم والعلماء والإنفاق عليهم، وتوفير سبل الراحة لهم، وأوجدت بيئة خصبة ساعدت على انتشار المدارس واستمرار التعليم فيها، وإقبال العلماء وطلبة العلم عليها، وكان لهذا الاهتمام في الحقيقة نتاج طبيعي لازدهار الأوقاف.

المكتبات

عُني المسلمون في مسيرتهم العلمية بوقف الكتب والمكتبات، وكان للأوقاف أثرها الثقافي الواسع، فكانت الوسيلة الأهم في تلقي العلوم ونشرها، ولذا فقد تنافس الواقفون في إنشاء المكتبات العامة والخاصة، وفتحها أمام طلبة العلم، ووقفوا عليها الأوقاف الدارة للصرف عليها وتزويدها.

وكان للمكتبات نصيب وافر في الوقف، ذلك أن إنشاء المكتبات في الإسلام وإيقافها، أو الإيقاف عليها من الكتب والأموال، هو أمر قد سبق مرحلة إنشاء المدارس الجامعية، ولقد اتخذت هذه المكتبات أسماء متعددة، مثل: خزانة الكتب، وبيت الكتب، ودار الكتب، ودار العلم، أو ما سمي ببيوت الحكمة؛ إذ إنها كانت تقوم مقام المكتبات المركزية في وقتنا الحاضر.[56]

ويبدو أَنَّ حبَّ المسلمين للعلم وأهله وحث الإسلام على التعلم كانا وراء استثناء الفقهاء لجواز وقف المنقول الذي جرى بوقفه كالكتب من الأصل العام في الوقف، وهو أن يكون الوقف مؤبداً فلا يصح إلا في العقار لا في المنقول، وجعلوه من باب الاستحسان، وسنده معروف ومن هنا نشأ وقف الكتب وأقبل المسلمون وأهل الخير والإحسان يوقفون الكتب نفعاً وحباً لعمل الخير.[57]

وقد اهتم الزنكيون بتأسيس المكتبات في المساجد والمدارس وغيرها من دور التعليم القائمة في ذلك العهد، وقلّما نجد داراً تعليمية للطلاب والباحثين في مختلف التخصصات تبعاً لحجم تلك الدار والأوقاف

التي أوقفت عليها، إذ أمر نور الدين محمود بتزويد كل هيئة تعليمية بمكتبة قيمة، وجعل عليها وقفاً كبيراً يصرف منه على المكتبة والمشتغلين بها،[58] وقد قال ابن عساكر عن نور الدين: "إنه حصَّل الكثير من كتب العلوم ووقفها على طلابها وأقام عليها الحفظة.[59]

اهتمام نور الدين بالخوانق والزوايا والربط والبيمارستانات والجهاد وتحرير الأسرى

الخوانق والربط والزوايا

انتشرت في بلاد الشام مؤسسات جمعت في وظيفتها بين أمور ثلاثة: دينية، علمية، اجتماعية وهي الخوانق والربط والزوايا، ومن الخدمات التي تكفل الوقف بتوفيرها عنايته بأفراد آثروا الخلوة والانقطاع للتعبد وطلب العلم بعيداً عن مشاغل الحياة، وآخرين حرمهم الفقر والعجز عن مجاراة غيرهم في العيش عن طريق تخصيص دور لإيوائهم وإقامتهم، وهي التي عرفت في الحضارة الإسلامية بالخوانق والربط والزوايا، والتي أوقفت عليها الأوقاف الكافية لتوفير أسباب الراحة والعيش لساكنيها.

الربط

هي جمع رباط، وهو مكان يقيم فيه الصوفية عاكفين على العبادة، والرباط أيضاً هو في الأصل: للمكان الذي يرابط فيه الجنود لمجاهدة العدو وحراسة ثغور الدولة الإسلامية،[60] وكان العلماء يتخذون من الرباط أماكن للمطالعة والتأليف وبخاصة في علم التصوف،[61] وكان نور الدين يعتني بهذه الأماكن وخصصها للصوفية وقد بنى الرباط والخوانق في البلاد التي تنتشر فيها الصوفية، ووقف عليها الوقوف الكثيرة وأدر عليهم الإدارات الصالحة،[62] فالمتصوفون كانوا يحتلون مكانه رفيعة في الدولة النورية، فكان نور الدين يحضر عنده مشايخهم ويقربهم ويدنيهم ويبسطهم ويتواضع لهم.[63]

وهذه المكانة الرفيعة للصوفية جعلت ابن جبير يصفهم بقوله: "بأنهم الملوك بهذه البلاد؛ لأنهم قد كفاهم الله الدنيا وفضّلهم، وفرّغ خواطرهم لعبادته من الفكرة في أسباب المعايش، وأسكنهم في قصور تذكرهم بقصور الجنان،[64] ومن أهم الربط في عهد الدولة النورية:

- رباط أبي البيات.
- رباط الوزير جمال الدين الأصفهاني.
- رباط الزيني.

الخوانق

مفردها خانقاه أو خانكاه وهي كلمة فارسية معربة، ومعناها البيت ثم أصبح المقصود بها المكان الذي يختلي فيه الصوفية وينقطعون فيه للعبادة،[65] وهذه المؤسسات كانت قائمة على الأوقاف فهي الممول

الأول لها وهي التي ضمنت استمرارية خدماتها، كما أن من ريعها ما يخصص للصرف على العاملين بها والمنقطعين فيها من الصوفية وغيرهم من الضعفاء والفقراء والغرباء. ومن أهم الخوانق:

1. خانقاه القصر واقفها نور الدين وسميت بالقصر الذي كان هناك من بناء شجاع الدين فاتك.[66]
2. خانقاه الطاحون وتنسب إلى نور الدين محمود بن زنكي وخارج البلد بالوادي.[67]
3. خوانق النساء: أنشئت في العهد الزنكي خوانق مخصصة لإقامة النساء يتعبدن فيها ويتلقين دروساً في الوعظ الديني، ومن أشهر هذه الخانقاهات في حلب: "خاناقاه نور الدين"، إذ ذكر ابن شداد أن الملك نور الدين أنشأ خانقاه سنة 553هـ/1158م، وقد كانت المؤسسات لها مشاركة فعالة في إغناء الحياة العلمية في ذلك العهد من دروس ووعظ إلى جانب قيامها بالوظيفة الأساسية التي أنشئت من أجلها وهي إيواء المتصوفة للانقطاع فيها للعبادة ومجاهدة النفس والبعد عن الدنيا.[68]

الزاوية

مفرد زوايا، وزاوية البيت ركنه، وكانت تطلق في بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي، والزاوية هي كالخاناقاه والربط من حيث الدور والوظيفة؛ ولكنها أبنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة من المدينة، وتقام فيها الأذكار والصلوات الخمسة.[69]

أسهمت الزوايا بدور كبير في نشر الثقافة والعلوم الإسلامية، وقد أوقف السلاطين والأمراء أوقافًا كثيرة على هذه المنشآت والمقيمين فيها، ومن ذلك أن نور الدين رحمه الله عين للمغاربة الغرباء، زاوية المالكية بالمسجد المبارك بدمشق وجعل لها أوقافًا كثيرة، منها طاحونتان وسبعة بساتين وأرض بيضاء وحمام ودكاكين بالعطارين، كما كان التزام أي زاوية من زوايا المسجد الجامع بدمشق يجعل هذا المنزل يُجبى إليه رزقه وتجرى عليه النفقة.[70]

ويورد ابن شداد أن نور الدين قد بنى الزوايا ومنها زاوية المالكية، وأخرى للحنابلة في جامع حلب،[71] ومن هنا يمكن القول إن الزوايا كانت تؤدي منافع تعليمية واجتماعية لطلاب العلم والفقراء إلى جانب أنها كانت مركزاً تصوفياً لمن يرغب في الانقطاع عن المجتمع والانصراف كلية للعبادة والزهد، وفي بعض الأحيان كان الزهاد في الزوايا يرفضون المساعدة المالية التي كان يقدمها لهم بعض الأمراء المماليك، ويفضلون العيش بالقليل مما يرد إليهم من ريع الأوقاف إمعانًا بالاتصاف بالزهد.[72]

وهذه المؤسسات كانت قائمة على الأوقاف، فهي الممول الأول لها وهي التي ضمنت استمرارية خدمتها، كما أن من ريعها ما يخصص للصرف على العاملين بها والمنقطعين فيها من الصوفية وغيرهم من الفقراء والضعفاء، والغرباء وأبناء السبيل، فكان ذلك لرغبة الواقفين في الدعاء لهم بالرحمة والمغفرة وخير الجزاء في الدنيا والآخرة.

البيمارستان

كانت البيمارستانات من بين المؤسسات التي حظيت باهتمام ورعاية السلاطين وأهل الخير، وكانت مراكز لتدريس العلوم الطبية إلى جانب ما اختصت به من تقديم الرعاية الطبية والمعالجة والاستشفاء، وتعد البيمارستانات من مفاخر الحضارة الإسلامية التي سبقت غيرها من الحضارات؛ فالخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك هو أول من بنى البيمارستانات في الإسلام.[73]

وهنا نرى اهتمام نور الدين محمود بإنشاء المستشفيات "البيمارستانات" وجعلها تقدم الخدمة الطبية المجانية للشعب"، فقد كثرت الأوقاف على "البيمارستان" في العهد الزنكي؛ وكان مدخلاتها عن طريق الوقف بشكل أساسي، خصوصاً في عهد نور الدين محمود بن زنكي وعماد الدين زنكي.[74] وبنى نور الدين البيمارستانات في مختلف المناطق التي سيطر عليها ووقف وقوفاً على المرضى والمجانين ووفر لهم الأطباء والمعالجين،[75] ومن أشهر ما بناه في دمشق وحلب.

البيمارستان النوري في حلب

يقع حالياً في منطقة الجلوم الكبرى في الزقاق المعروف بزقاق البهرامية،[76] وذكر ابن الشحنة أن الملك نور الدين حينما أراد بناء هذا البيمارستان طلب من الأطباء أن يختاروا من حلب أفضل بقعة صحيحة الهواء وصالحة لإقامة البيمارستان بها، وذبحوا خروفاً وقطعوه أربعة أرباع، وعلقوها بأرباع المدينة ليلاً، ولما أصبحوا وجدو أحسنها رائحة الربع الذي كان في هذا الموقع فبنوا البيمارستان.[77]

وكانت هذه الأوقاف لتأمين هذه النفقات لهذا البيمارستان الكبير ويوجد مكتبة تشتمل على الكثير من الكتب الطبية التي أوقفها نور الدين محمود على هذا البيمارستان،[78] ما يؤكد أثر هذا البيمارستان في النشاط العلمي في هذا العهد إلى جانب الوظيفة التي كان يقوم بها.[79]

البيمارستان النوري بدمشق

يعد البيمارستان النوري من أهم البيمارستانات التي بناها نور الدين، وقد بناه بعد فتحه لدمشق وتسلمها من البوريين عام 549هـ من مال أفاءه الله عليه،[80] وقد اشترط في وقفه أن يكون مختصاً بالفقراء والمساكين ولا يمنع منه الأغنياء، ومن جاء إليه لا يمنع من شرابه كائناً من كان،[81] وقد أوقف نور الدين على هذا البيمارستان جملة كبيرة من الكتب وكانت في الخُرستانين الذين صدر الإيوان.[82]

وقد أشاد ابن الأثير بعظم هذا البيمارستان وكثرة أوقافه، إذ قال عن نور الدين محمود بن زنكي: "وبنى البيمارستان في البلاد، ومن أعظمها البيمارستان الذي بناه بدمشق، فإنه عظيم كثير الخرج"،[83] وقد سرد محمد راغب الطباخ أوقاف البيمارستان بأنها: "قرية معراتا ونصف مزرعة وادي العسل من جبل سمعان، وخمسة أفدنة من مزرعة كفر نايا، وثمانية أفدنة من مزرعة أبو مدايا، وخمسة أفدنة بمزرعة الحميرة،

واثني عشر فداناً من مزرعة الغرزال من المعرة، وثلث قرية بيت راعل من الغربيات، وعشرة دكاكين في سوق الهواء، وهذا يدل على مقدار المال الوفير الذي تدره هذه الأوقاف لتأمين نفقات هذا البيمارستان الكبير".[84]

فالبيمارستان النوري كانت تتبعه مدرسة للطب، وكان الأطباء يعنون بالمرضى، ويدرسون الطب في بناء مجاور للبيمارستان؛ فكان تدريس الطب يتمتع بقدر من الحرية، فلم يخضع لرقابة الدولة، وقام مدرسو البيمارستان المذكور وأطباء بتأليف ستة وثلاثين كتاباً في الطب، وقام بعض الأطباء بتدريس الطب في بيوتهم، مثل: الطبيب ابن علي الداخوار،[85] وهو أحد كبار الأطباء والمدرسين، وكان يدرس الطب في داره بدمشق إذ قام بوقفها عام 622هـ وجعلها مدرسة للطب وأوقف عليها ضياعًا و أماكن عدّة للإنفاق على المدرس ومساعديه.[86]

وكان للأوقاف أثر رئيس في تقديم الرعاية الصحية، ومساعدة المرضى من الفقراء والمحتاجين فكثيرًا ما وقف الأغنياء أموالهم وأملاكهم لإنشاء المستشفيات والدور الصحية لكي تقدم خدمات جليلة للمرضى تتمثل في علاجهم وإطعامهم ومتابعتهم.

وقف نور الدين في دعم الجهاد وتحرير الأسرى

فرض الله تعالى الجهاد في سبيله على كل المسلمين، للدفاع عن حدود الدولة الاسلامية، وحماية محرمات الله والذوذ عن أعراض المسلمين وأموالهم، ولقد رغّب الشارع في الجهاد في سبيل الله بالمال والسلاح والنفس، فقال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾،[87] وجاء في الحديث الشريف عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**"؛[88] فبذل المال في الجهاد والسلاح ونفقة المجاهدين"،[89] فأوقفت الأوقاف لتجهيز الغزاة والمجاهدين والمرابطين والمدافعين عن حدود دولة الإسلام وثغورها، وهكذا أوقفت الأموال لخلافة المجاهدين في أسرهم والأسلحة والدواب لدعم المقاتلين في سبيل الله حفاظًا على دولة الإسلام وصونًا لكيانهم من عبث العابثين.

تعرضت بلاد الشام إلى حملات عسكرية خارجية عدة من أبرزها غزو المغول والصليبين؛ فكان من الطبيعي أن يكون من آثار هذه الحملات وقوع الكثير من الأسري في أيدي الأعداء الذين يكبلونهم بالقيود، ويصرفونهم إلى الخدمة والعمل الشاق،[90] ما أوجد الحاجة الماسة للأموال من أجل فداء هؤلاء الأسرى، والتي كانت تجمع في وقت الحروب من أجل هذا الغرض.[91]

ولقد أولى نور الدين منذ دخوله دمشق عام 549هـ/1154م عنايةً واهتمامًا بالعمائر العسكرية والمدنية ولكون الخطر الصليبي على مدينة دمشق قائمًا أعاد بناء وترميم أسوار المدينة وقلاعها وجسورها وأبوابها وأضاف إليها أبوابًا أخرى جديدة للسور كما دعمه أيضًا بالأبراج الكثيرة لتقويته

وخصص بعض السلاطين والأمراء أوقافًا لدفع فدية لهؤلاء الأسرى، وإطلاق سراحهم، وذكر ابن جبير وجود وقف لفكاك الأسرى المسلمين في الشام، وقال: "بأن نور الدين زنكي وقف ونذر اثني عشر ألف دينار في فداء الأسرى، وأن عددًا كبيرًا من الأثرياء عندما كانوا يوقفون وقفًا أو يوصون وصيةً كانوا يخصصون جزءًا منها للأسرى".[92]

وذكر أبو شامة وثيقة مهمة عن أحد المحاضر التي دونت بصدد المسجد الأموي بدمشق، والتي سعى نور الدين إلى فصلها وإعادتها إلى قطاع المنافع العامة وبخاصة مسائل الدفاع والأمن، وقد تمثلت في تلك الوثيقة بوضوح الرغبة الجادة لدى نور الدين في الأسلوب الشوري الحر بوصفه الطريق الذي لا طريق غيره للوصول إلى الحق.

ففي 19 صفر سنة 554هـ أحضر نور الدين أعيان دمشق من القضاة ومشايخ العلم والرؤساء،[93] وسألهم عن المضاف إلى أوقاف الجامع بدمشق من المصالح ليفصلوها منها وقال لهم: "ليس العمل إلا ما تتفقون عليه وتشهدون به، وعلى هذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يجتمعون ويتشاورون في مصالح المسلمين، ولا يجوز لأحد منكم أن يعلم من ذلك شيئاً إلا ويذكره ولا ينكر شيئاً مما يقوله غيره إلَّا وينكره والساكت منكم مصدق للناطق ومصوبّ له، فشكروه على ما قال ودعوا له، وفصلوا له المصالح من الوقف، فقال نور الدين: "إن أهم المصالح: سد ثغور المسلمين وبناء السور المحيط بدمشق والخندق لحماية المسلمين وأموالهم ثم سألهم عن فواضل الأوقاف، هل يجوز صرفها في عمارة الأسوار؟

وقد عمل الخندق للمصلحة المتوجهة للمسلمين فأفتى شرف الدين المالكي بجواز ذلك، ومنهم من روّى في مهلة النظر، وقال الشيخ ابن عصرون الشافعي: "لا يجوز أن يصرف وقف المسجد إلى غيره ولا وقف معين إلى جهة غير تلك الجهة، وإذا لم يكن بد من ذلك فليس طريقه إلا أن يقترضه من إليه الأمر من بيت مال المسلمين فيصرفه في المصالح ويكون القضاء واجباً من بيت المال"، فوافقه الأئمة الحاضرون مع على ذلك، ثم سأل ابن أبي عصرون نور الدين: هل أنفق شيئاً قبل اليوم على سور دمشق، وعلى بناء بعض العمارات المتعلقة بالجامع المعمور بغير إذن مولانا؟ وهل كان إلا مبلغاً للأجر في عمل ذلك، فقال نور الدين: لم ينفق ذلك ولا شيء منه إلا بإذني وأنا أمرت به.[94]

ومن خلال ما سبق يتبين مدى اهتمام نور الدين بالوقف والجهاد من أجل الدفاع عن الإسلام وبلاده، وكان للأوقاف الفضل في ضمان استمرار الوقف على المرابطين، والحملات العسكرية والأبراج والقلاع وجعلها دائمًا لصد الأعداء.

الخاتمة والنتائج

لقد شكلت الإنجازات الباهرة المتعددة التي حققها نور الدين أركان نهضة الأمة، والجدير بالملاحظة والنظر أن نور الدين حقق هذه الإنجازات في ظل ظروف بالغة الصعوبة فقد كان في حالة حرب مستمرة مع الغزاة الفرنجة. وتوصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- إن الوقف عمل خيري يأخذ مشروعيته من الكتاب والسنة وعمل الصحابة رضي الله عنهم.
- يعد نظام الوقف هو أحد هذه النظم التي تستهدف خير الإنسان وتحقق الطمأنينة والاستقرار للمجتمع.
- اهتمم نور الدين محمود بالأوقاف في مختلف المؤسسات من جوامع ومدارس وخوانق وأربطة وزوايا ودور القران وغير ذلك.
- دعم نور الدين جهود العلماء وجعلوهم في مكانة سامية في الدولة إذ تم توفير جميع المقومات التي تكفل لهم الحياة الكريمة طوال فترات تلقيهم العلوم من خلال مؤسسات الأوقاف.
- قامت الأوقاف في عهد نور الدين بدور مميز عن طريق توفير الكتب وسائر المنشآت التعليمية، وذلك بإنشاء المكتبات العامة ودور العلم وغيرها.
- كان للأوقاف في عهد نور الدين أثر حميد على النهوض بعلوم الطب؛ لأن دور المستشفيات التي ينفق عليها من الأوقاف لم يكن يقتصر على تقديم العلاج المجاني بل يتعدى ذلك إلى تدريس الطب.
- وجود أوقاف في عهد نور الدين لتخليص السجناء ووفاء ديونهم، وفكاك أسرى المسلمين.

الهوامش

[1] الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت770هـ / 1368م) **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، المكتبة العلمية – بيروت، ج2، ص669. الراغب الأصفهاني: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502هـ/1108م) **مفردات غريب القرآن**، بيروت، لبنان، دار المعرفة، 1900. ج1، ص530.

[2] ابن عابدين: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي (ت 1252هـ/1836م)، **حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان**، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان،1421هـ، ج2، ص319.

[3] عليش: منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل ج8، ص108.

[4] الرملي: أبي العباس شمس الدين محمد بن أحمد الرملي المصري الشهير بالشافعي الصغير **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، طبعة دار الفكر، الطبعة الأخيرة سنة 1404هـ 1984م، ج5، ص358.

[5] الحجاوي: شرف الدين موسى، (ت 960هـ / 1552م)، **الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق عبد الطيف السبكي، دار المعرفة بيروت، ج3، ص2.

[6] سورة آل عمران: الآية 92.

[7] الرملي: **نهاية المحتاج**، ج5، ص358.

[8] أخرجه البخاري: البخاري: محمد بن اسماعيل (ت 256هـ / 869م) **صحيح البخاري**، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط 3، دار ابن كثير، بيروت، 1987م، (كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، ج 2، ص120، ح1461).

[9] البخاري: **صحيح البخاري** ج4، ص2، ح2739.

[10] ابن حجر: الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت سنة 528هـ/ 1133م) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة – بيروت، 1379هـ، ج5، ص360.

[11] مسلم: الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت261هـ / 874م) **صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تح محمد فؤاد عبد الباقي، ج5، ص73، ح4310.

[12] الرملي: **نهاية المحتاج**، ج5، ص359. الشربيني: الخطيب: شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني الخطيب القاهري الشافعي، **مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج**، دار الكتب العلمية، ج2، ص376.

[13] ابن قدامة: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي؛ ت 620هـ **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ، ج6، ص 206.

[14] الزركشي: بدر الدين، **المنثور في القواعد**، تح عبد الستار أبو غدة وتيسير محمود، وزارة الأوقاف الكويتية، 1402م، 1982م، ج1، ص 345.

[15] البخاري: **صحيح البخاري**، ج3، ص199، ح 2737.

[16] الشربيني: **مغني المحتاج**، ج 2، ص 376. ابو زهرة: **محاضرات في الوقف**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1972م، ص7.

[17] الشربيني: **مغني المحتاج**، ج 2، ص 375. ابن قدامه: **المغني**، ج 5، ص 597.

[18] الخن: **الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي**، مصطفى الخن، علي الشربجي، مصطفى البغا، ج2، ص 216.

[19] مسلم: **صحيح مسلم**، ج5، ص73، ح4310.

[20] الطرابلسي: ابراهيم بن موسى الحنفي: (ت 922هـ/ 1517م)، **الإسعاف في أحكام الأوقاف**، القاهرة، 1902م، ص3.

[21] الدهلوي: شاه ولي الله، **حجة الله البالغة**، تح سيد سابق، دار الجيل بيروت، ط1، هـ1426، 2005م، ج1، ص 668. الخن، **الفقه المنهجي**، ج2، ص 216.

[22] الخن: **الفقه المنهجي**، ج2، ص 216.

[23] سورة آل عمران: جزء من الآية 92.

[24] الخن: **الفقه المنهجي**، ج2، ص 216.

[25] البلاذري: **فتوح**، ص337. الطبري: **تاريخ**، ج4، ص44.

[26] سورة التوبة: 18.

27 مسلم: **صحيح مسلم**، ج1، ح533، ص378.

28 حطيط: أحمد، **قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري**، ط1، بيروت، لبنان، الفرات، 2003م، ص222. العمري: عبد الله منسي السعد، **تاريخ العلم عند العرب**، ط1، دار مجدلاوي، عمان، 1410هـ/ 1990م، ص20.

29 الطراونة: **مملكة صفد**، ص259. نوال: **التعليم**، ص48.

30 البنداري: **سنا البرق**، ص 144.

31 النعيمي: عبد القادر بن محمد (ت 978 هـ / 1570م)، **الدارس في تاريخ المدارس**، جزءان، أعد فهارسه ابراهيم شمس الدين ط1 دار الكتب –بيروت 1410هـ/1990م، ج1 ص 342.

32 الصلابي: **فقه التمكين في القرآن الكريم**، دار المعرفة للطباعة والنشر–2005 م، ص 149.

33 أبو شامة: شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم (ت665 هـ /1266م) **الروضتين في اخبار الدولتين النورية الصلاحية** ط1، تح ابراهيم الزيبق – مؤسسة الرسالة – بيروت 1997م، ج1، ص 72.

34 ابن كثير: أبي الفداء اسماعيل بن عمر (ت774 هـ / 1372 م) **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف–بيروت، د.ط، د. ت، ج2، ص 172، أبو شامة، **الروضتين**، ج2، ص172.

35 الصيني: عبد القادر أحمد، **دور نور الدين محمود في نهضة الأمة ومقاومة غزو الفرنجة**، رسالة الدكتوراه، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، ص188.

36 ابن عساكر: ابن القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (571هـ /1175م) **تاريخ دمشق** – دراسة وتحقيق على شيري، ط، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت 1998م، ج2، ص 259.

37 المصدر نفسه، ج2 ص 259.

38 أبو شامة: **الروضتين** ج1 ص 72.

39 أبو شامة: **الروضتين** ج1، ص 21، الأسدي: **الكواكب**، ص36.

40 سورة المجادلة: آية 11.

41 سورة الزمر: آية 9.

42 البخاري: **صحيح**، ج1، ص37.

43 المصدر نفسه: ج1، ص37.

44 المنذري: **الترغيب والترهيب**، بيروت /ج2 ص865.

45 ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الأكرم الشيباني الجزري الملقب بعز الدين (ت630هـ/1232م) **التاريخ الباهر في الدولة الأتابيكية بالموصل**، تح عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط2 – 1995م، ص 17. ابن خلكان: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد، (ت 681هـ / 1282م)، **وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان**، تح احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج5، ص 185.

46 ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (سنة 660هـ /1261م) **زبده الحلب من تاريخ حلب**، تح سامي الدهان، دمشق، 1968م، ج2، ص 293، ابن كثير: **البداية**، ج 12، ص 333.

47 ابن عساكر: **تاريخ**، ج 41، ص 295.

48 ابن جبير: محمد بن أحمد (ت 614هـ /1217م) **الرحلة المسماة تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار**، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، مصر، ص 248.

49 ابن شداد: **الأعلاق**، قسم حلب، ج1، ص 38.

50 ابن عساكر: **تاريخ**، ج58، ص 13، النعيمي: الدارس، ج1، ص 271.

51 ابن جبير: **تذكرة**، ص 231.

52 المزيني: ابراهيم بن محمد، **الحياة العلمية في العهد الزنكي**، الطبعة الأولى 1424هـ/2003م، ص 429.

53 ابن جبير: **تذكرة**، ص 231.

54 النعيمي: **الدارس في تاريخ المدارس**، ج1، ص 648.

55 ابن قاضي شهبة: بدر الدين (ت 874هـ / 1469 م) **الكواكب الدرية في السيرة النورية**، تح محمود زايد، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت 1971م، ص 37.

56 الشوم: محمد قاسم: **دراسات في الوقف الإسلامي**، دار المقتبس، لبنان–بيروت، الطبعة الأولى، 1436هـ–2015م، ص290.

57 الساعاتي: يحيى محمود، **الوقف وبنيه المكتبة العربية، استبطان للموروث الثقافي**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ط1، 1988م، ص31.

58 المزيني: **الحياة العلمية في العهد الزنكي**، ص 154.

59 المرجع نفسه.

60 ابن خلكان: **وفيات**، ج4، ص 75.

61 عبد المهدي: عبد الجليل حسن، **الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي**، ط 1، مكتبة الأقصى عمان د.ن 1980م، ص 75.

62 ابن الأثير: **الباهر**، ص 171. ابن خلدون: عبد الحميد بن محمد الحضرمي (ت 880هـ / 1405م) **العبر وديوان المبتدأ وبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذي السلطان الأكبر**، دار الكتب العلمية، بيروت 1992م، ج5 ص 353.

63 عبد المهدي: **الحركة**، ص 75.

64 ابن جبير: **تذكرة** ص 231.

65 ابن شداد: **المواعظ والاعتبار**، ج2، ص 441.

66 ابن شداد: **الأعلاق**: قسم حلب، ج1، ص 30. كرد: على محمد، **خطط الشام**، بيروت 1971م دار الكتب المصرية 1934م، د.ط.، ج 6، ص 44.

67 المزيني: **الحياة العلمية في العهد الزنكي**، ص 455.

68 المرجع نفسه.

69 المقريزي: تقي الدين أحمد بن على بن عبد القادر (ت845هـ / 1441م) **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، جزءان ط2 – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة 1408هـ / 1987م، ج 2، ص 421.

70 ابن جبير: **الرحلة**، ص232.

71 ابن شداد: **الأعلاق**: ج1، ص 43.

72 الحجي: حياة، **صور من الحضارة العربية الإسلامية**، القاهرة، دار الكتب العلمية، د ط، د ت، الكويت، ط1، 1983م، ص163.

73 المزيني: **الحياة العلمية** ص 412.

74 ابن الأثير: **التاريخ الباهر**، ص171. النعيمي، الدارس، ج2، ص315.

75 ابن عساكر: **تاريخ**، ج7، ص 121، أبو شامة: **الروضتين**، ج1، ص 45.

76 الأسدي: **أخبار حلب**، ص 167.

77 المزيني: **الحياة العلمية**، ص 413.

78 محمد كرد: **خطط الشام**: ج6، ص 187.

79 المزيني: **الحياة العلمية في العهد الزنكي**، ص 414.

80 أبو شامة: **الروضتين**، ج1، ص 45.

81 المصدر نفسه، ج1، ص 45.

82 المزيني: **الحياة العلمية**، ص 146.

83 ابن الأثير: **التاريخ الباهر**، ص170.

84 الطباخ: محمد راغب، **اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، ج2، ص68.

85 هو مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بن حماد المعروف بالدخوار شيخ الأطباء بدمشق ومن المشهورين في علم الطب، توفي عام 628هـ، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج13، ص150. ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبي العباس احمد بن القاسم بن حذيفة (ت668هـ/ 1269م) **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، 1 جزء، تح نزار رضا بدار مكتبة الحياة، بيروت، ص728.

86 أبن أبي أصيبعة: **طبقات الأطباء**، ص733، نيقولا زيادة: **دمشق في عصر المماليك**، 1966، ص125.

87 الأنفال، آية 60.

88 البخاري: **الصحيح**، ج4، ص2329، ح7458.

89 الصنعاني: محمد بن اسماعيل (ت 852هـ/ 1844م) **سبل السلام**، تح، محمد الخوالي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 1379هـ، ج4، ص460.

90 ابن جبير: **الرحلة**، ص280.

91 ابن طولون: شمس الدين محمد (ت953 هـ/1546م)، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، تح، محمد مصطفي، المؤسسة المصرية العامة للنشر،1962م، ج1، ص39.

92 ابن جبير: **الرحلة**، ص253.

93 أبو شامه: **الروضتين**، ج1 ص 74

94 أبو شامه: **الروضتين** ج1 ص 75.